Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human and Social Sciences

مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

قراءة نقدية في كتاب إظهار صدق المودة في شرح البردة لابن مرزوق الحفيد

A critical reading of the book Showing the sincerity of affection in the explanation of Al-Burdah Marzouk's grandson

Ben Ali Tahar طاهر بن علي

جامعة زيان عاشور بالجلفة

Lecturer professor, degree A, Université Ziane Achour -DJELFA-, Faculty of Arts, .Languages and Arts, Department of Arabic Language and Literature

t.benali@univ-djelfa.dz

تاريخ الاستلام: 2022-01-31 **تاريخ القبول :** 2022-03-27

الملخص

تهدف إلى محاولة إضاءة الوعي النقدي الجزائري في القرن الثامن الهجري، من خلال نموذج ابن مرزوق الحفيد الذي يعد مهمة من حلقات النقد الجزائري القديم، بتأثيره في نقاد المغرب العربي، وفي النقاد الجزائريين – حسبما وصلنا من التراث النقد الجزائري القديم - ولعل أبرز كتاب هو : "إظهار صدق المودة في شرح البردة" الذي قدّم شرحا فيه وافيا وتحليلا نقديا مبسطا ؛ لنص البردة للشاعر البوصيري الذي وقف عليه اختياره الموفق ، والذي ضمّنه في سبع تراجم: شرح الغريب ، التفسير ، المعاني ، البيان ، البديع ، الإعراب ، والإشارات ، لذا سنبين المنهج الذي اعتمده في كتابه التي أثارها المؤلف فيه رحمه الله .

الكلمات المفتاحية: دراسة نقدية ، ابن مرزوق ، البوصيري ، البردة ، الإشارات .

Abstract:

It aims to illuminate Algerian monetary consciousness in the 8th century A.H. through the example of the grandson of Marzouq, who is considered an important link in ancient Algerian criticism, by his influence on Arab Maghreb critics, and on Algerian critics - as we have come from the Algerian old monetary heritage - perhaps the most prominent book : "Demonstrate the sincerity of affection in the Refrigerator Explanation", which provided a thorough explanation and simplified monetary analysis ; The Borda script of the Bosserite poet whose successful choice stood out, which is included in seven translations: Explaining strange, interpretation, meaning, statement, magnificent, expressing, and gestures, we will show the method that was adopted in his book, which was raised by the author in which God rest his soul.

Keywords: do not exceed 5 words
Critical study, Ibn Marzouq, Al-Busairi, Al-Burdah, al-Isharat .

ابتداء من تحرير المقدمة إلى غاية نهاية الخاتمة تحرر بنظامالأعمدة تبعا للشكل المقدم في القالب (عمودين بالخط التالي

مقدمة:

رفع درجة الوعي بمعرفة النقد الجزائري القديم في حركية التطور للأجناس الأدبية العربية ومساهمته الفاعلة في تثمين النصوص الفنية واستحضارها كشاهد على قيم المشاركة للنهوض الشامل بالأدوات النقدية المستعملة والمستغلة في جميع الأطر المسموحة والممنوحة للناقد يعد ضرورة ملحة ، فإن الحركة النقدية هي الموجه والمرشد الذي يؤازر الحركة الإبداعية للإنتاج الأدبي ، فالنقد الأدبي هو "كلام على كلام، أو كتابة على كتابة، يهدف من ورائها الناقد إلى تقريب النص المنقود من إفهام المتلقين، ويجعلهم يتذوقونه .

مدخل :

إن الحديث عن تجربة النقد الجزائري القديم هو إثبات لجزء من النقد العربي القديم يكمله ويصله بأطرفه ويقرب فهم تمثله من التطور ، المضمخ بحياة مليئة بالبذل السخي والعطاء النقي تمد الفكر ونقده بمدد صحيح مُثل في طرقه لمحاولات نقدية جادة بروافد مفيدة ممتعة ، وتعلن بداية تاريخ لحركة الفكرية النقدية فنيا في الجزائر تمييزا لها وإيذانا مبشرا ؛ لمولد صارخ سيدب ناشئا في الأقاليم العربية الأخرى (كل الفنون التي تدرس هي انبثاق وميلاد اللحظة وتحسب حيويتها بديمومة بقائها تأثيرا في حياة الفكرة وتكون بدايتها نقشا جماليا احتماليا)[1] وإن حالت ظروف معروفة من الناحية التاريخية وأعاقت مسيرة توسعه وتعميم نشره وتطويره : "وما دمنا نعترف بوجود محاولات في الأدب، فمن الحق أن نعترف كذلك بوجود محاولات أخرى في النقد"[2].

يعد النقد الجزائري القديم تراثا قيما ، وسندا قويا لنا لإثبات المساهمة والمشاركة الفعالة التي تركت بصمات ناصعة البياض في ظاهرة بروز النقد القديم الجزائري تذكر بالتنفس المريح التي تم من خلال نوافذها لنقادة المغاربة ، والبحث في حركتها الحية نحو إخراج مكثف بليغ في محاولة لنسج حلة قيم مفيدة تميزت بغزارة المادة وطول النفس في تتبع جوانب الموضوع إلى نهايته منها إحياء لها ، لإماطة اللثام عنها في مدى مشاركتها نقدا فنيا جديدا والكشف عن ما اكتنفها من غموض وغياب ؛ لأن التراث : "ذاكرة الشعوب وسندها الخلفي، تعود إليه خاصة عند ضعفها، تفتّش فيه عن العبر والقيم التي تساعد في النهوض من كبوته"[3].

وقصيدة البردة الشهيرة أو ما يعرف بقصيدة الكواكب الدّرية في مدح خير البرية النبي صلى الله عليه وسلم، كتبها محمد بن سعيد البوصيري في القرن السابع هجري، وقد أجمع معظم الباحثين على أن هذه القصيدة قد فازت بالسبق ، وأنها من أفضل وأعجب قصائد المديح النبوي الشريف ، وانتشرت انتشارا واسعا فريدا في البلاد الإسلامية ، فحفظوها وأقاموا لها مجالس خاصة في الموالد الشريفة ، وقد عني بها النقاد بالدراسة والتمحيص والشرح والتفسير، كما أنها ترجمت إلى العديد من اللغات مثل: الفارسية، التركية، الإنجليزية، والفرنسية .

في القرن الثامن الهجري بدأت تظهر في تاريخ النقد والتأليف عند المغاربة والأندلسيين كثير من المعارضات لها والتصنيف والكتب التي تشيد وتحتفي بها، ومن أبرز هم ناقدنا الإمام الجزائري ابن مرزوق الحفيد التلمساني الذي تحمل مسؤولية البحث والنظر فيها والبعث من جديد ، وكان شرحه معدودا لها في محاولات ثلاث : الشرح الأكبر ، والمتوسط ، والأصغر ، وقد قلده في هذا التقسيم الثلاثي ابن مقلاش الوهراني وهو ما أكسبه الشهرة النقدية الأدبية وعد من أولى الريادة والسبق .

توجد منه نسخ عديدة (مخطوط) في كتاتيبنا الكثيرة المنتشرة إذ لا تخلوا زاوية في الوطن منها إلا وتحتفظ بنسخ منها وتدخرها . . .

وتوجد نسخ محفوظة في كل من فاس والرباط وسلا ومراكش ومصر وتركيا وسوريا وترجمت إلى لغات مختلفة منها ألمانية والإسبانية والصينية والروسية والأردية والفرنسية والفارسية ولهجات شعبية كثيرة . . .

أسعى في هذه الدراسة إلى إماطة اللثام عن النقد الجزائري القديم وبروزه ، وذلك من خلال بسطه في معالجة نقدية للكتاب في شرح قصيدة البردة الموسومة ب"إظهار صدق المودة في شرح البردة" وقد أظهرت الإشارة إلى المنهج النقدي المستعمل الذي اعتمده المصنف ، وأهم مصطلحات النقدية التي وظفها في بيان شرحه للقصيدة .

- 1. ابن مرزوق الحفيد :

هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن أبي عبد الله محمد ابن محمد بن أبي بكر بن مرزوق الحفيد العسّيجي التلمساني المعروف بالحفيد ، ولد بتلمسان سنة 766هـ، وتوفي بها يوم الخميس الرابع عشر شعبان 842هـ، ودفن بالجامع الأعظم بتلمسان، كما هو الضريح المعروف به اليوم، وحضر جنازته السلطان[4] .

وقد أورد المؤرخ عبد القادر الجيلالي قوله "محمد بن مرزوق كان ممّن اشتهر بالعلم والرئاسة والفضل، من بيوتات الجزائر وأعيانها في هذا العصر ببيت ابن مرزوق ذائع الصيت، لقد تألق في سماء بيت ابن مرزوق بدرر وأقمار كان كوكبها الدّري ونجمها الثاقب، مُتَرْجِمُنَا هذا العلامة الإمام شيخ الإسلام، ومفتي الأنام عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق الحفيد العجّيسي[5] .

قد قال عنه عبد الرحمن الثعالبي "هو سيدي الشيخ الإمام الحبر الهمام، حجة أهل الفصل في وقتنا وخاتمتهم، ورحلة النقاد وخلاصتهم، ورئيس المحققين وقادتهم، السيد الكبير والذهب الإبريز، والعلم الذي نصّبه التمييز، ابن البيت الكبير، والفلك الأثير، ومعدن الفضل الكبير[6] .

2- مؤلفاته:

يعد ابن مرزوق الحفيد من المكثرين في التصنيف في شتى العلوم والفنون، وممن خصّها في اللغة والأدب نجد:

1- إظهار صدق المودة في شرح البردة: ويعرف بالشرح الأكبر، لأن لابن مرزوق الحفيد ثلاثة شروح للبردة، كان الإظهار أكبرها، وقد استوفى فيها غاية الاستيفاء، فقد ضمّنه سبعة فنون في كل بيت.

2- الاستيعاب لما في البردة من: المعاني والبيان والبديع والإعراب، ويعرف بالشرح الأكبر.

3- شرح على البردة: ويعرف بالشرح الأوسط، غير أنه لم يثبت له عنوان في جميع المصادر التي ذكر فيها[7] .

4- المفاتيح المرزوقية في حل الأقفال، استخراج رموز الخزرجية في العروض.

5- إيضاح السالك على ألفية ابن مالك.

6- شرح التسهيل: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك .

7- مواهب الفتاح في نظم تلخيص المفتاح: وهي أرجوزة في نظم تلخيص المفتاح للخطيب القزويني.

8- أرجوزة في تلخيص ألفية ابن مالك .

9- مجلد في شرح شواهد شروح ألفية ابن مالك.

10- الغاية القراطيسية في شرح الشقراطيسية: يشرح فيه قصيدة في مدح النبي عليه الصلاة والسلام لمحمد بن يحيى الشقراطيسي[8] .

3-القراءة النقدية لكتاب إظهار صدق المودة في شرح البردة:

إن "إظهار صدق المودة في شرح البردة" تأليف نقدي يحوي على ما يزيد من 680 بيتا شعريا ، ويضم رسائل أدبية ولغوية .. ألّفه ابن مرزوق الحفيد على شرح قصيدة البردة ، ويعتبر هذا المصنف معلما دراسيا في حركة النقد المغربية عامة، والجزائر خاصة ، وهو يتماشى مع ما كان رائجا في ذلك الاتجاه السائد عند النقاد في التأليف التي تجمع من فنون المادة اللغوية والبلاغية والفوائد الأدبية والتاريخية وعلومها ، إلا أنّه أراد التميّز في ذلك من خلال قيمة منهجه العلمي المتفرد .

حيث بسط في البداية أسباب اختياره للموضوع كمادة للعمل والشرح، وبين الداعي الموضوعي والفني مصرحا بإعجابه بمقدمة الدراسة للقصيدة، ورغبته العارمة في التأليف فيها، إذ يقول "فلم أصل إلى التلذذ ببعض ما فيها إلا بالنظر[9] .

وصرّح قائلا "دعاني بعض إخواني من الأصحاب إلى التكلم عما في القصيدة من باب البديع والإعراب، فأجبته إلى ذلك، ووضعت فيه مجموعا سمّيته بـ(الاستيعاب) فوقع من الإخوان لفضلهم موقع التعظيم والتبجيل، فاستدعوا مني أن أضم لذلك التكلم عليها بالشرح ليقع التكميل فاستخرت الله تعالى - لما أرجوه على ذلك من الثواب إن شاء الله تعالى في إسعافهم- ولم أجد بُدًا من امتثال ما إليه أشاروا، ولا سبيلا إلى خلافهم، فوضعت عليه شرحا بذلك من اللفظ صعابه، ويحط عن وجه المعنى نقابه[10] .

ويمكن أن نستوضح دواعي أخرى منها[11] :

- أن الذائقة الفنية عند المتلقي في عصره وقد ضاقت ذرعا بالنظم الشعري السائد، والذي خلا من حرارة الشاعرية، وأصبح نظما جافا ؛ لا وحي فيه ولا خيال ولا أحاسيس إنسانية ، لدفعته إلى اختيار هذه القصيدة الجامعة لميزتين اثنتين: مزية فنية ومزية رمزية صوفية، فطلب منه أن يضع شرحا عليها لتلبية الذوق الفني والرمزي ، لاسيما وأن العصر قد طغت عليه مظاهر مجالس المدح النبوي وتحيين

مناسباتها ، وقصيدة البردة تحمل نفحات أهّلتها لهذا الاختيار المدحي بما تحفل من خصائص جمالية ممتعة ، وقد سلك فيها الشاعر مذاهب بلاغية شيقة، ومسالك لغوية أكثر إفادة وإشراقا . . .

ثم انتقل الناقد إلى أهم مرحلة في التحقيق والتوثيق لنصه المختار بروايات متعددة المصادر تواترت على الوجه الذي عرضه ، واعتنى به في روايته ، من وانتقاء للرواة الثقاة في مختلف البقاع والأمكنة ؛ لتثبيت النص المقروء على وجه مخصوص موثق ، ومن هؤلاء-أبرزهم: قراءة الشيخ شهاب الدين أبي العباس، أحمد الرشيدي المكي، والعلامة عز الدين أبي عبد العزيز ابن الإمام أبي عبد الله محمد بن جماعة الكناني... وغيرهم[12] ، وقد عمد المؤلف رحمه الله إلى تنويع مصادر روايته على دقة التوثيق ...

4 - منهج ابن مرزوق في شرح نصوص القصيدة :

ـ كتب مقدمة وفيها المنهج العام الذي سار عليه متنه في شرح البيت الواحد للقصيدة ، ويسّره بجملة مفيدة ، فقال مبينا طريقة الشرح[13] : "وجعلت الكلام على ما أشرحه من أبياتها في سبع تراجم :

أولهما : شرح الغريب: في شرح لغات الألفاظ المفردة، وما يتعلق بها من التصريف.

ثم التفسير : في شرح المعنى المقصود من تراكيب الجمل.

ثم المعاني : في ذكر ح كم خواص الكلم المستعملة في ذلك التركيب دون غيرها إفرادا وتركيبا.

ثم البيان : في ذكر وجوه التركيب من وضوح دلالته على المعنى المراد، وبيان الحقيقة منه والمجاز، وما ينخرط في سلك ذلك المعنى من ذلك الفن.

ثم البديع : في ذكر وجوه ما في ذلك التركيب من المحاسن اللفظية والمعنوية.

ثم الإعراب : فأذكر منه الوجوه القوية الظاهرة دون غيرها، وهي ترجمة معينة على فهم معنى الأبيات.

ثم الإشارات الصوفية : أذكر منها ما يمكن أن يكون إشارة ظاهرة المعنى المذكور، وقصدت في كل ترجمة إلى أقل ما يمكن إيثارا للاختصار، مستعينا في كثير منها من ذكر ما وقع مثله في نظيرها خشية السآمة والتكرار.

يلاحظ من خلال ما بينه من مستويات التي أدرجها ابن مرزوق في تأليفه النقدي أنه تجاوز ببراعة ما كان سائدا قبله من طرق الشرح لدى النقاد القدامى، والذين أعطوا أهمية للمسائل اللغوية والنحوية، ليعرج إلى الاهتمام التحليل البلاغي الذي أحاط بالنص لغويا من : (المعجمية والصرفية) والتركيبية (النحوية) والدلالية (التفسير) والبلاغية (المعاني، البيان، والبديع) والإشارية (الإشارات الصوفية) واستدعى المعطى الموسوعي للرجل لاستعانة به بالمسلمات الموضوعية ؛ من ظروف التاريخية والدينية التي أثّرت في إنتاج الشاعر من أجل وضع جديد لدلالات خطابيه فنية استنطقها المؤلف رحمه الله في إدخاله علم المعاني للمحسن اللفظي والمعنوي في آلة التقييم النقدي .

ـ كما حاول ابن الأثير ؛ أن يوازن أيضا بين الشرح اللغوي النحوي وبين الشرح البلاغي إذ قال "فموضوع علم البيان هو الفصاحة والبلاغة وصاحبه يسأل عن أصولها اللفظية والمعنوية، وهو والنحوي يشتركان في أن النحو ينظر في دلالة الألفاظ على المعاني من جهة الوضع اللغوي، وتلك دلالة عامة، وصاحب علم البيان ينظر من فضيلة تلك وهي دلالة خاصة، والمراد بها أن يكون على هيئة مخصوصة من الحسن، وذلك أمر وراء النحو والإعراب، ألا ترى أن النحوي يفهم معنى الكلام المنظوم والمنثور، ويعلم مواقع إعرابه، ومع ذلك فإنه لا يفهم ما فيه من الفصاحة والبلاغة، وهنا غلط مفسرو الأشعار في اقتصارهم على شرح المعنى، وما فيه من الكلمات اللغوية، وتبيين مواضع الإعراب دون شرح ما تضمنه من أسرار الفصاحة والبلاغة[14] .

في غرض ابن مرزوق للمنهج المتبع نلاحظ أنه قد تحديد أربعة مستويات تحليلية وظّفها في شرحه لنص المدح وبسطه لموضوع مادته النقدية أنشأ من خلال ذلك مجالا من الثراء أساسه القياس والجدل والمقارنة والمفاضلة وجملة من التأسيس العلمي للنقد ملتزما بنهجه الذي يحرص أن لا يحيد عنه يسلكه خطوة ؛ خطوة :-

أ - المستوى المعجمي:

وهو المستوى الذي أدرجه الناقد بعنوان: شرح الغريب ، فقد ركز فيه على شرح المعاني المعجمية والنحوية في البيتين الأوّلين من مطلع قصيدة البردة:

أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرَانٍ بِذِي سَلَمِ
مَزَجْتَ دَمْعًا جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ
أَمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ كَاظِمَةٍ
وَأَوْمَضَ الْبَرْقُ فِي الظَّلْمَاءِ مِنْ إِضَمِ

قد أتى الناقد بجميع المعاني المعجمية التي تفيدها اللفظة الواحدة المفردة ، والتي تكون مناسبة لمعنى البيت وسياقاته ، في حين ترك المعاني البعيدة التي لا تصلح للمعنى الذي أراده الشاعر ، من مثل شرحه لمعنى التذكر قوله "التذْكِيرُ مصدر تـذَكُرُ (تَفَعـل) مـن الـذكْرِ ، ولـه معـان ، ومـن هنـا هـو ضـد النسيان ، قال الله تعالى "وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلا الشيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ[15] ، وفسر بالحفظ أيضا لأنه ضد النسيان ، ويقال: ذِكْرٌ غير ممنون ، وَذِكْرُهُ ، وليكن هذا على ذكْرٍ منك بكسر الذال وضمها أي لا تنسه ، وذَكَرْتَ الشيء بعد النسيان ، وذَكَرْتُهُ بلساني أي نطقت به وبقلبي ، وتَذَكرْتُهُ وَأَذْكَرْتُهُ بمعنى ومنه "وَاذْكُرْ بَعْدَ أُمةٍ"[16] أي ذكر بعد نسيان ، كذا فسّر الجواهري[17].

قد شرح الناقد جميع الألفاظ المعجمية التي وردت في البيتين الشعريين مستندا على المعاجم والقواميس العربية - خاصة معجم الصحاح للجواهري- وأعطى جميع الشروح والتبسيطات الممكنة للفظة الواحدة ، وأعطى جميع الدلالات التي تتناسب وسياق النص ، مستدلا بآيات قرآنية وأحاديث شريفة وأبيات شعرية وأمثال قديمة تلتقي في نفس الدلالة ، وهذا من دليل كاف على ثقافة الرجل الموسوعية الهائلة وكفاءته النقدية الهادفة .

ب – التفسير:

عمد الناقد إلى شرح البيتين الأولين من قصيدة البردة وتفسير دلالتهما استنادا على شواهد أخرى من شعر الشعراء القدامى، مركزا على ظاهرة الالتفات في النقد، إذ يرى الناقد أن الناظم "أنزل نفسه منزلة مخاطب لما رآه باكيا، وقد امتزج دمع عينيه بالدم، فاستفهمه عن سبب بكائه على الوجه المذكور، أهو من أجل تذكر جيران بذي سلم أو جاوروك بذي سلم، أم هو من أجل أن هبّت الريح من ناحية كاظمة، أو من أجل لمع البرق خفيا في الظلام من ناحية إِظَم، فذكرك أحبابك من أهل الموضعين (كَاظِمَة وَإِظَمَا) لأن البكاء من أجل الحبيب إما عن تذكره وإن حضر، وإما لمفارقته، وليس البكاء من أجل المكان متجردا، فالسر في المكان لا في المنزل، نعم إن يكن المنزل فمن أجل ساكنه[18].

حاول الرجل استحضار بعض النماذج الشعرية المتداولة التي تتوافق وقصيدة البردة في نفس السياق الدلالي مثل شعر امرئ القيس ، علقمة بن عبدة، ذي الرمة، العماد الأصبهاني، ابن الرومي ....

(وشرح ابن مرزوق ذا تناول أدبي صرف – شرح المديح الشعري – لأنه شمل مادة علمية نقلت اهتمامه وعصره مما عكست لنا الظروف جميعها وهذا يعكس ثقافة الناقد الموسوعية ، وتأثره البين الظاهر في تفسيراته بمنهج الأصيل للنقاد العرب وما أضفاه من اجتهاد خاص يميزه) في توسعته لضروب النقد التفاعلي وإشراكه للمتلقي في العملية التحصيل المعرفي لفهم النص ومدى سعة التذوق عند مختلف طبقات طلابه

يتضح من خلال شرح ابن مرزوق وتفسيره أنه عالم موسوعي من حيث إفادته من كتب علم البلاغة والنقد والأدب، وتفننه فيما يبدو ذلك جليا من خلال استقصائه للمسائل النقدية المطروحة ومعالجتها بإسهاب مفيد ، ومن خلال ذكره لأسماء الأعلام المؤثرة في حركة النقد ، من الاستدلالات الموفقة من محفوظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، ومن الشعر العربي القديم، ومختار النصوص النثرية، فقد كان اتجاهه في الشرح اتجاها تفاعليا وجعل المتلقي مثقفا عالما يشارك في عملية الاختيار والحفظ من خلال معرفته بتكملة ما بقى من نصه ولو كان هذا من الآيات لأن الطالب خاص بالعلم حافظ لكتاب الله العظيم وكما تظهر مقدرته العميقة في جمعه بين الآراء النقدية المختلفة وسعة قدره في حسن إطلاقها وإمساكها على مصادرها المثيرة الموثقة .

ج - المستوى البلاغي :

أولا - المعاني: اهتم الناقد في هذا الطرح بوظائف كل من: التعريف والتنكير، والإضافة، والتقديم والتأخير، والحذف والإيجاز، والاستفهام ، والخبر ، والإنشاء والفصل والوصل والنداء والنهي والتوكيد والتعبير بالموصول والبدل والجمل المعترضة . . .

ـ أما مصطلحات علم المعاني التي عني بها ضمّنها في الإظهار وهي: الالتفات، الخطاب العام، الإسناد المجازي، والإيجاز، وإيجاز الحذف، وإيقاع الظاهر موقع المضمر، والتأكيد، والإطناب، والحذف، وحذف التقابل ، والتوشيح ، والتذييل ، والاستئناف البياني ، والبيان بعد الإبهام.

ثانيا – البيان : رصد الناقد التحليل البياني في كل من البيتين الرابع والخامس من البردة في قول الشاعر:

فَمَا لِعَيْنَيْك إِنْ قُلْتَ اكْفُفَا هَمَتَا

وَمَا لِقَلْبِكَ إِنْ قُلْتَ اسْتَفِقْ يَهِمِ

أَيَحْسَبُ الصَّبُ أَنَّ الحُبَ مُنْكَتِم
مَا بَيْنَ مُنْسَجِمٍ مِنْه وَمُضْطَرِمِ

ـ انصبّ جهده على تفكيك الصور البيانية المختلفة بشرح مفصل لها، والتدليل على عناصرها، وتبيين نوعها وأثرها الجمالي مع ما يناسبها من شواهد موفقة : من القرآن والشعر وبعض النصوص النثرية. . .

ومن أهمها ما ورد في متن الشرح : المجاز، التشبيه، الحذف، الاستعارة بأنواعها، التخييل، اللف، النشر الخ . . .

ـ ويلاحظ أن الناقد لم يخرج عن نطاق التحليل البياني الذي رسمه وأسّس له علماء البلاغة العرب السابقين له ، وعمد إليه النقاد القدامى في التحليل.

ثالثا – البديع : استخرج الناقد في مستوى البديع ما في تركيب النص من محسنات معنوية ولفظية، وكثيرا ما كان يقرن التأنق في مواضع من الكلام بالأثر الجمالي في نفسية المتلقي ويتيح له المشاركة في الإنفاعل التذوقي الجمالي لمادة الموضوع التي يلقيها في شرحه للقصيدة ، ومن هذه المصطلحات في علم البديع التي وظّفها واستفاد منها في شرحه :

ـ براعة الاستهلال، الموازنة، التجنيس بأنواعه، المبالغة، المطابقة، الاستطراد، المقابلة، التورية، الحشو، ردّ الصدور على الأعجاز... وغيرها.

. منح الناقد ابن مرزوق فلسفة نقدية ظهرت :.

في المستوى البلاغي من النقاد العرب وعلماء البلاغة، وممن جاء ذكرهم في متنه النقدي : كالقزويني، السكاكي، الزمخشري، الجاحظ، عبد القاهر الجرجاني، ابن قتيبة، ابن رشيق، حازم القرطاجني، وابن الأثير.

د - المعاني الإشارية :.

ـ حافظ الناقد في ترجمته على الإشارات الصوفية وعمق التعامل معها وفق ما جاءت في المعاجم العربية وأبقى التعامل معها باعتبارها إشارة تحرّر لغوية واستطاع تكييفها مع المعاني المتوارثة والسياق التعاقب وتطور الأحكام النقدية وفق إشارية مختزلة للمعاني من غير إغراقه في التجرد المغلق . . .

أي أنها تتحول إلى حركة تصحيح جديد بحثا عن وجوه آخر غائبة عن التعبير ، إذ يقول الناقد : "ويحتمل تخريج كلام الناظم في الإشارات على وجوه، لكن ما قلّ وكفى، خير مما كثر وألهى[19] .

إن الناقد الشارح في هذه الترجمة تحولت عنده التلقي إلى قناة تخزين لما قيل قبل ، فقد سما بقراءته عن مستوى القراء العاديين، وجعل من قراءته كشوفا وحوارا ساميا ومرتحلا، لا يبحث عن معنى بل عن تفسير وتأويل، واستكشاف لأسرار المعاني التي أشار لها النص الشعري . . .

ظهر عمله الفني وشكل إبداعا على إبداع وليس تجاذب معرفي لجملة من المعايير نقدية المستقطبة وأدوات إجرائية امتلكها من تعلّمه ومطالعته للآثار التراثية العظيمة المؤثرة فحاور بها المكتسب الشعري المشتهر ، كتمثّله للإشارات في البيتين الشعريين:

فَكَيْفَ تُنْكِرُ حُبًا بَعْدَ مَا شَهِدْتَ
به علَيْكَ عُدُول الدَّمْعِ والسَّقَمِ
نَعَمْ سَرَى طَيْفُ مَنْ أَهْوَى فَأَرَّقَنِي
وَالحُبُّ يَعْرِضُ اللَّذَات بِالأَلَمِ

ويحتمل الشارح أن يكون إشارته للبيتين إلى أولياء الله المتشوقين شوق حب إلى الدخول الجنة وخوف فرار هروبا من النار ، فإن هؤلاء العباد لا ينشغلون إلا بربهم، فإذا ارتقوا عن هذا المقام إلى مقام المشاهدة والإحسان ، فهؤلاء يخفون أحوالهم وسبب نحولهم ودمعهم ، فإذا أطلع الله خبايا المؤمنين وعلى ما جهروا ، رزقهم مرضاته وقربه ؛ قال تعالى "فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ"[20]، علموا أنه رضي إظهار حالهم، فأظهروا حينئذ أمرهم وأجابوا من سألهم بنعم، وأخبروا أنهم المحبّون، وأن التذاذهم بالخلوة والخفاء اعترضه ألم الظهور[21] .

وهكذا يفتح الناقد أبوابا في جو الاحتمالات التي يمكن أن تكون تأويلا والتفسير المستساغ من الشرح التي تشعّها الإشارات الصوفية المستترة والمرتبطة بالألفاظ الموظّفة في القصيدة، وهو ما كشف عنه أن النص منفتح على تأويلات دلالية واسعة ، وهو ما يتّضح في قوله : "والكلام في الإشارات لا تفي به العبارات، فيكفي الاقتصار على أدناها إذ لا سبيل إلى منتهاها، وإنما سمّيت الإشارة إشارة لأنها تغني عن العبارة، وفي الإشارة ما يغني عن الكلم[22] .

ومما قدمناه يتضح لنا أن ابن مرزوق الحفيد احترم ترتيب التراجم حسب خطته الممنهجة كما ذكر في مقدمة نسخة تأليفه ، حين انتقل بالتحليل المستقصي المفيد من ترجمة إلى ترجمة .

نستخلص من دراستنا هذه إلى القول أن هذا المنهج الذي تتبعناه نجده أنه يقوم على خطة منهجية محكمة ، أحتاط فيها الناقد بمختلف أدوت النقد المنهجي ؛ اللغوية،

والمعجمية، والتركيبية والصرفية، وكذا تركيزه على الجوانب البلاغية واهتمامه بها ، إضافة إلى إثارته لكثير من المسائل اللسانية والبلاغية وقضايا النقد المختلفة التي فاز بسبقها ونال بنسجها الإعجاب .

[1] ينظر : جماليات فن الأثر النصية . محمد محمود الصامت دار اليمامة .

[2] ينظر : إلى الكتب التي ترجمت له وهي :

1- عادل نويهض : معجم أعلام الجزائر الطبعة الأولى 1390هـ / 1971م منشورات المكتب التجاري والطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان 141 – 143

عادل نويهض : معجم المفسرين الطبعة الثانية 1409 هـ / 1988 م مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر2/483- 484 .

2- عبد العزيز بن عبد الله : معلمة الفقهى المالكي الطبعة الأولى 1403هـ - 1983 م دار الغرب الغسلامي :161/97

3- الحفناوي تعريف الخلف برجال السلف الطبعة الثانية 1405هـ / 1985 م مؤسسة الرسالة بيروت لبنان : 97/3

4- كارل بروكمان : تاريخ الأدب العربي ترجمة د- غريب محمد و أخرون طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة 1995م : القسم السابع 12 -425. 449. 450.

5- الجيلالي : أعلام الجزائر 2/ 210 – 215 .

6- الزركلي : الأعلام الطبعة السابعة 1986م دار العلم للملايين بيروت لبنان 331/5

إسماعيل باشا البغدادي : هدية العارفين باسماء المؤلفين وأثار المصنفين : منشورات مكتبة المثنى بغداد :2/ 191-192 .

[3] علي الأطرش: سلامة موسى ناقدا، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1992م، ص 20. توفي ابن مرزوق .

[4] ينظر، ابن مريم: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1986م، ص 201-208.

[5] عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج2، ص 210.

[6] المرجع نفسه، ص 211.

[7] ينظر، أبو القاسم محمد الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، دار موفم للنشر، تح. محمد رؤوف القاسمي الحسني، الجزائر 2007م، ص 156.

[8] مريم: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ص 210-211.

[9] ابن مرزوق الحفيد: إظهار صدق المودة في شرح البردة (مخطوط)، المكتبة الزيدية، المغرب، (المقدمة)، ص 2.

[10] نفسه .

[11] ينظر، محمد بوطول: في النقد الأدبي الجزائري القديم، ص 104-105.

[12] ينظر، ابن مرزوق الحفيد: المصدر السابق، ص 3-4.

[13] ينظر، ابن مرزوق الحفيد: المصدر السابق، ص 3-4.

[14] ضياء الدين بن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تقديم وتحقيق أحمد العوفي وبدوي طبانة، دار الرفاعي، ط2، الرياض 1984م، ص 4.

[15] سورة الكهف، الآية 63.

[16] سورة يوسف، الآية 45.

[17] ابن مرزوق الحفيد: المصدر السابق، ص 5.

[18] المصدر نفسه، ص 9.

[19] المصدر نفسه، ص 75.

[20] سورة التوبة، الآية 105.

[21] ينظر، ابن مرزوق الحفيد: المصدر السابق، ص 64.

[22] المصدر نفسه، ص 40.